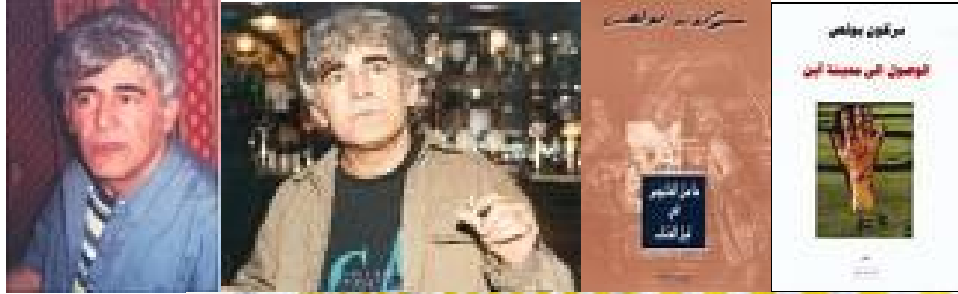


## سركون بولص واستحضار هموم المبدع العراقي المغترب عبد الاله الصائغ



الشاعر اليهودي العراقي روني سوميك وسركون بولص



وديع سعادة، زاهر الغافري، اثمار، سركون بولص ورولا حسن



سركون بولص مع سعدي يوسف

صالح دياب وسركون بولص



أليف - ولد سركون بولص في ضاحية قريبة من بحيرة الحباينة سنة 1944 ! وفي صباه انتقل وعائلته الى مدينة كركوك وهناك أسهم في تشكيل جماعة كركوك التي ظهرت في ستينات القرن العشرين واسهمت مع ذوة الآداب والفنون المعاصرة في النجف كلا على انفراد لبلورة جيل الستينات بل وتجيبيله ! والتقى في بغداد : جماعة كركوك وجماعة النجف واسهمتا في تحديث الوعي الأدبي والفني والانفتاح على التجارب الكونية ! كان سركون بولص يتطير من النظرة اللنمية او الهمسة الكتيمة او السؤال عنه دون مناسبة ! وتعرض الى اذى خفيف من بعض الكتاب العراقيين المهووسين ! واعتبر ذلك انذارا مبكرا لمغادرة العراق صوب بيروت التي كانت وازالت عاصمة الثقافة المتفتحة ! فهناك مجلات الاديب والآداب وشعر وحوار وغيرها ! كانت شعر اقرب الى مزاجه فعمل فيها محررا وفاحصا ومترجما ! ثم واصل بعد سنوات إمعانه في الغربية ففي عام 1969 غادر إلى الولايات المتحدة ، وأحب سان

فرانسيسكو ليلبث فيها فاصدر من هناك مجلة دجلة Tigris Magazine وكان ينفق عليها من جيبه ويرسلها الينا على عنواننا في العراق او مصر او لبنان ! واستثمر وقته في التحصيل لمعرفة وتطوير تجربته الكتابية ! فهو يتقن ومنذ الستينات العربية والانجليزية والارامية ! واخبرني ان لديه حلما وهو تعلم اليونانية كي تتاتي له قراءة الإلياذة والأوديسة باليونانية القديمة ! سان فرانسكو اجتذبتة فهناك حيث الجماعات الادبية والفنية العالمية فعقد صداقات مع اعلام كبار ذوي نجومية عالمية كان هو اول من ترجمهم الى العربية ! ثم مارس وهو على مشارف عتبة الستين هوية السفر والتجوال بين قارات العالم فمن امريكا الى اوربا ! وحين لوح له الزمان بالاستقرار وتحصل على دعم مادي من بعض المؤسسات الثقافية ليتمتع بالتفرغ داهمه مضم السرطان ربما كان التدخين احد اسباب محنته وكان يعاني اوجاع المرض وسكرات الموت ولم تتحرك اية جهة لملاجه ففاضت روحه الى بارئها في برلين صبيحة الاثنين 22 أكتوبر 2007 ولسنا نعلم شيئا عن حياته الخاصة ان كانت له زوجة واطفال ام انه مات اعزب ! وارجح ان سركون مات اعزب !

وقد كتب عن رحيله العشرات من العراقيين والعرب والاجانب معربين عن حزنهم العميق لوفاته وهي مشاعر طبيعية جدا ومطلوبة لأنها شيء من خلق المبدعين ! ولكن يؤ الطبعي ان يكتب احد الكتاب المهوسين ضد من كتبوا مرثياتهم في سركون وكأنه استكثر الوفاء على رفاقه في الكلمة وكانت كتابة هذا الشتام تنفيسا عن برم بالآخرين حتى الذين لا يعرف عنهم شيئا ! وكان على هذا الكاتب ورهطه بان يتعلموا الحياء والتواضع من سركون بولص !

عدد من اعمال سركون بولص المطبوعة

. الوصول الى مدينة أين – شعر 1985

. الحياة قرب الأكروبول – شعر 1988

3. الأول والتالي – شعر 1992

. حامل الفانوس في ليل الذئاب – شعر 1996

. إذا كنت نائماً في مركب نوح – شعر 1998

. رقائق لروح الكون – ترجمة لمختارات شعرية

. شهود على الضفاف – سيرة ذاتية

باء -ستينات القرن العشرين ! يوم كانت ندوة الآداب والفنون المعاصرة في النجف جنية مزهرة تجتذب البلابل والفراشات ! كنا مجموعة غير متجانسة من الادباء نلتقي لنتخاضم او لنتفاخر لكن القاسم الوحيد بيننا كان الميل للتجديد ! اذكر من اولئك موسى كريدي وزهير زاهد وحميد فرج الله وسعيد علي ومرتضى فرج الله وعبد الامير معلة

ويوسف الحيدري وزهير الجزائري وجاسم للحجاج ومحمد رضا آل صادق وموفق خضر وهاشم الظالقاني وعبد الامير جمال الدين وآخرين ! ولعل الشاعر والقاص سركون بولص كان من اوئل الادباء العراقيين لذين عقدوا الصداقات مع الندوة الوليدة فكان يزور النجف كما يفعل الآخرون ! وحين استضفنا الشاعر الكبير سركون بولص في مقهى الادباء العراقيين بالبالتاكي طبل لي ان اذكر المغفور له سركون بولص بزيارته الي بيتي في الكوفة وذكرت له حواراتنا ومشاعنا ولم اترك في حديثي حتى سباحتنا معا في شط الفرات وكيف قرأ لنا ونحن نسيح قصته ( العلبة ) وكان يحفظها كما لو كانت قصيدة بحيث كناستعيد مقاطع منها ونحن ونلهث ! وقلت لسركون بولص بمسمع من رواد مقهى المثقفين وضيوفه ان بعض تعبيرات العلبة مازال لابثا في الذاكرة لابداعية وقد اقتبس منها عدد من القصاص والروائيين يستعملونها دون ان يرف لهم جفن ! فقل سركون بولص لكي يمتحن ذاكرتي ! مثل ماذا ياصانع ؟ فقلت له على الفور مثل فتح عينيه على وسعهما فضحك سركون وقال لي انا مثلك احفظ كل شيء يتصل يتصل بعقد الستينات من لقرن العشرين فقد كان عقدا حاسما !! وها انني اتذكر سوألا وجهه اليه احد الضيوف وكانت الأجواء الحزينة ترين على المقهى لرحيل الشاعر جان مو وقد بالغ المفجوعون في عظمة دمو تجربته الشعرية وطلبوا منه تعليقا ! فقال قولاً لاينطق به سوى سركون العظيم ! قال ( إن عظمة جان دمو انه مات ولم يكتب قصيدته ! فقد نسي ان يكتب شعرا يليق به ) ! كان سركون مرحا كأنه يمتلك الدنيا حكيماً كأنه يختزل تجربة الشعب الآشوري ! طيباً عميقاً مثل سركون بولص العراقي ! هكذا اذن بدا المبدعون العراقيون المغتربون يتسللون فجأة ودون تحذير باتجاه المجهول : محمد مهدي الجواهري ! وجليل القيسي وذنون ايوب وجلال الحنفي وعبد الوهاب البياتي وشمران الياسري وعزيز السماوي وكمال سبتي وغائب طعمة فرمان ومير بصري وجلال الخياط وعناد غزوان وعواطف نعيم ومحود البريكان وسامي سعيد الأحمد ويوسف الصانع وعزيز عبد الصاحب وعوني كرومي وبدري حسون فريد ومحمد كاظم الطريحي وعبد الأمير جرص ! انها محنة كارثية ان يموت المبدع العراقي غربياً حريباً منسيا معوزاً ! وتضيع معه مخطوطاته ومقتنياته ! والغريب ان الحكومة العراقية لم تبدأ الخطوة الاولى بعد رغم رعد التصريحات وبروقها ! والأغرب حقا ان ك من يحاول جمع شتات المثقفين العراقيين على كلمة سواء تنهال عليه الساكنين من حيث يدري ولايدري ! أتكلم عن تجربتي ! فلقد دعوت الى مؤتمر تاسيسي للمثقفين العراقيين المغتربين وجدولت المكاسب الحرفية التي يسعى اليها المؤتمر التاسيسي ! وكانت بشائر الخير تترى فقد تعاطف مع المشروع كبار المثقفين العراقيين التقدميين ! وعدد من المسؤولين واتصل بنا وزير التعليم العالي الدكتور عبد ذياب العجيلي عن جهة الدولة واعلن استعداداه لتام غير المشروط لدعم المؤتمر ! واتصل بنا مندوبون عن جهة اقليم كردستان ! وكان كل شيء يجري بمحبة عراقية وكل مطالبينا كانت تجد آذانا صاغية وقلوبا واعية ! ثم هبت تسانومي الغوغاء فشنوا حملة على الصانع تبدأ من أنه يريد بمؤتمر

المتقنين العراقيين المغتربين أن يفتح دكانا للارتزاق! وجاء رجل من اقصى الثقافة يسعى وقال ان الصانع بروفيسور مزيف! وامعن الغوغاء في تجريحي أخلاقيا ووطنيا وعائليا! ! قد اخبرني صديق مثقف ان فلانلوكان قد طرد للتو من العمل في المنطقة الخضراء اشترى كمية كبيرة من الكارتات لمستعملة في التلفونات البعيدة ليحجث عنك انواع الاخبار وليهدد وو .. وقد التفت حول مشروعى خيرة المتقنين العراقيين المغتربين! لكنهم كانوا حين يقرأون طعنا في سمعتي ونواياي يرسلون الي الايميلات الهامسة الخجولة ومعها تحذير عجيب بان هذا الايميل للاستهلاك الشخصي وليس للنشر! بل وحدثت محاولات من اقرب الناس الي لاختطاف المشروع وطردي منه من خلال قبول اسماء لا نعرفها كانت تشتمني وتسمني باقذع النعوت! وقال قائل من جماعتي هو معروف بالتقدمية ان المؤتمر صار حسينية وصار شيعيا لأن الحبيب الشيخ غي القطبي كان من المؤسسين معنا! بل ان كاتبة مسيحية تقدمية قالت لي متن خلال لهاتف ان الدكتور احمد النعمان جعل اللقاء شيعيا وحين اخبرتها ان احمد النعمان تربيةماركسية وانه سني وموصلي وجمت! وانا لله وانا اليه راجعون فقررت الغاء الفكرة وتبتالى الله عن خطيئتي لان قدر المثقف ان يكون معوزا في نظر الغوغاء! ولم اجد حين هبت تسانومي الغوغاء غير عدد قليل دافع عن المشروع فقطمغ شيء من الاشارة الى الشخصية كذا!! وهكذا ونتيجة تسلط الغوغاء اوهابهم الذي يسلطونه على كل من يفكر بعمل شيء للمثقف العراقي المغترب الكسير! الغيت فكرة المؤتمر! وجاء الاستاذ ابراهيم الزبيدي وطرح مشروع المجلس العراقي للثقافة ليجد السكاكين بانتظاره مع الاسف فمن امن العقاب اساء الادب فشغل الزبيدي عن هاجس مد يد العون للمثقف العراقي المغترب كي يطبع اعماله و يجد من ينفق عليه حين يمرض او يتعوق! حين تعرض لحملات ظالمة والجل مستغرب كيف ان شاعرا عراقيا ينفق على المثقفين من جيبه لكنهم لم يتساءلوا كيف ينفق الشاعر الكويتي سعود البابطين على مؤسسات عملاقة لصالح المبدعين وكيف ينفق الشاعر الخليجي العويس على المثقفين وكيف ينفق الاديب اليمني العفيفي على المثقفين! وهوذا سركون بولص ابن العلق الذي لم يساوم على حريره او وحدته يموت بعد ان تجرع غصص المرض! وقد اغتالته الغربة والكآبة! ما كان ضرنا لو صبرنا على فكرة تجميع الادباء والمثقفين من اجل فرض واقعهم على الدولة العراقية لا منة منها ولا مكرمة! ايها المثقفون العراقيون هل تفكرون معي بضرورة عمل شيء يجبر لصوص النفط العراقي الى ادخل المثقف العراقي في المحاصصة ( كذا ) ؟ تغلوا نعتصم امام اليونسكو ونضرب عن الطعام حتى التلف او الاستجابة لمتطلباتنا! ادري ان صفوفنا مشتتة ونوايانا مختلفة وثمة من اتقن لوحده لعبة اللعق من السواقي الوفيرة فما عاد البطران يهتم بالحيوان! هكذا نحن تركنا سركون يموت وهو في عز عطائه وامجاده! اين اتحلل الادباء من محنة سركون المرضية؟ اين المؤسسات الثقافية؟ اين المنظمات الاشورية؟ فليرحمك الله سركون بولص ودمت لنا مكانا فنحن اللاحقون قست حياة بنفس فيها المثقف على اخيه المثقف! لقد

قرات مقالة لكاتب كوردي معروف تنتقص من الدكتور ابراهيم الجعفري فقلت في نفسي حق ان ينتقص العراقي من اي مسؤول يراه اقل مستوى من المسؤولية الوطنية ولكن ما اعني قول ذلك الكاتب ان زمن الجعفري كان زمن المكرمات ! في اشارة غير حاذقة لدفع السيد الجعفري فاتورة عمليتي الى مستشفى امريكي ! لقد حقد الكثير على السيد الجعفري لانه مد يد المثقف عراقي هو الصانع ! كتبوا ان الجعفري امر بمعالجة الصانع لأنهما شيعيان وكتبوا ان الجعفري نسي الناس دون كهرياء وتذكر الصانع وكتبوا ان الصانع نصب واحتال على السيد الجعفري ! وحتى الصانع فقد ناله اذى عظيم من العديد من المثقفين العراقيين ! لقد اشفقوا عليه ليقينهم انه ميت لامحالة فنحن نبكي الموتى ونجلد الاحياء ! فوجدت بعضهم كانه يرتجف وهو يهاجمني بلفظ ناب ولدون سبب ! وحتى الفنان الكبير الدكتور احمد النعمان الذي وقف في محتي وقوف الشقيق والرفيق والصديق لم ينج من بحر الافواه المعوجة والعيون العور ! فكيف السبيل؟ نريد ان لا تتكرر مأساة سركون بولص وندعو لأن يكتشف المثقفون المغتربون من العراقيين سيلا لاحبا لتعزيز دور المثقف وان يطلب الى الوزارات العراقية وبخاصة الخارجية لكي تلتطف بالمثقف المغترب وتافه ومنبعج ذلك الذي يظن ان في هذا القول استجداء لطرف ما ! فمعظم المثقفين يعيشون على اعانات الدول المضيفة ولا يعدون ذلك استجداء ! يفخرون بوطنيتهم الامريكية او البريطانية او السويدية ولا يفخرون بوطنيتهم العراقية ! ان سايكولوجية المثقف العراقي اليوم لا تسمح باشتغال اي مثقف في وظيفة مجزية فهم يحاربون بعضهم بعضا ناسين ان آبار النفط العراقي تضخ ليلا ونهارا وتسرق ليلا ونهارا وسرا وجهارا وذلك امر اعيادي لكن الدعوة الى تشغيل المثقف وضمه التكنوقراط في مفاصل الخارجية مثل تعد استجداء والعمل على وحدة للمثقفين تعد نصبا ولا ادري ولست اخال ادري كيف سنخرج من هذا النفق المعتم وذوو العور الخُلقي والخُلقي بالمرصاد للعباد ! يقول الشاعر الجاهلي :

فدع ذا وسل الهم عنك بجسرة      ذمول اذا صام النهار وهجرا  
فلندع ذا ونسل الهم بقصيدة لسركون :

لتدخل شيخوختها بأمان

..فلتكن هناك

أقصد جالسا بين الجبال

فآخر نهر،

سيمر بك محمولا على عربة

.تعمل بطاقة الأنين

..كن هناك

أقصدُ ظلاً يتفشى على سبورةٍ

.يقيمُ عليها خطُ الاستواء

.أو تعال

.تري المناجمَ فارغةً

.الطيورَ بوالينَ بغاز العزلة

الكتبَ مُجمداتٍ لهوائيات الدماغ

فيما ستكون الأمشاطُ ألسنةً

.للذكريات

القطار الأخير،

.بعد ساعة ودون سكة هذه المرة

النبعُ،

زجاجةُ فارغةٌ دون إقامة

.بعد اليوم

..يا للهول

أن يصبح الوداعُ متقاعداً

أن تدخل التفاحة المشرحة

أن يصبح الليل فروة محترقة

أرق المنفى.. ماء وكلاً ودستور دائم وبعج في الأسرة

طنجة

في ذكرى محمد شكري

أضواؤها ، من إسبانيا ، دعني

كعقد ضائع من اللآلئ

لأركب سفينة

"اسمها" ابن بطوطة

"أقلت بي ، من الجزيرة الخضراء

في رمضان . والآن ، من نافذتي في طنجة

بأعلى الأدرج المسماة

نزلة الإسبان" ، أرى سُبحة "

. من الأنوار الغائمة تسور جبل طارق

النزلة مائتان ونيّف من الأدرج

حتى تنزل الى البحر

من يدري أية حورية مجلّبة ستصعني

! بأية عينيها الضاريتين هناك

روائح الأرض كلها أمامي  
في صينية بائع الأفوايه  
وبياع عرق السوس بالزنجبيل  
. يهز في وجهي سترته المَجْعَرَفَة بأقداح الماء  
! آنذ أتذكر كم أنا عطشان  
وأي صيفٍ يستيقظُ في كبدي  
وأي طيفٍ من الماضي  
هو هذا الطبالُ الآتي من آخر الزنقة  
يتبعه زمارٌ وعدة أطفال  
كأنهم يدرون جيداً أنني واحدٌ  
منهم ، طبلتي الصغيرة تحت إبطي  
تُعلنُ عن أفراحي المقبلة  
وعيدِ أحزاني  
أنا الصائمُ الذي سُيفطرُ غداً  
أنا الجائعُ الذي سيأكلُ هذا الرغيف  
. قبلَ أن ينام  
" رؤيا في " فندق النصر

( إزمور بالمغرب )

الى صدوق نور الدين

الشمسُ في الأعلى

طافيةً ، كبيضة اللقلق ، فوق السقوف

: ولا أحد ، في الأسفل ، يتحرك

. إنها القبولة

نافذتي تطلّ على بستانِ أشواكة

أعلى من السقوف ، امرأة

تنشرُ عليها ملاءاتٍ ، قنابيزَ أطفال . ها هي

تخرجُ من بيتها المتواضع ، وتأتي

لتلمّ غسيلها . جلابتها المقلّمة

. رايةُ الغسق

قدماي

مجذّرتان في هذا السرير

. حيثُ أقيتُ ، منذُ يومين ، مرساتي

الفندقُ يطفو بين يدي عرّافة

تسافر في خيمتها الوبرية الى جبال الأطلس

. كل ليلة

عِظاءةٌ كانت تتسلقُ ساقَ طاولتي  
حيثُ تستقرُ منفضةٌ ، وكأسٌ ، وقتينة  
ألقتُ نظرةً غيرَ آبهة  
على يدي التي يُنصاعدُ منها دخانُ لُفافة  
ومضتُ مثلَ أميرةٍ متعطرسة  
. في طريقها الى المنفى  
البُستانُ نائمٌ  
. تسيلُ على شوكةِ أوّلِ قطراتِ الندى  
نافذتي مفتوحةٌ تستقبلُ حاشيةً  
من البعوض ، وثمة  
من يحملُ فانوساً ويبحثُ عن شيءٍ ما  
. في الخرابة  
. أزْمور... وهذه ليأتي الثالثة  
كمظليّ لم تنفتحِ مظلتُهُ  
. تسقطُ في كأسِي بعوضة  
مخدّةٌ تحتَ رأسي  
تتكهربُ بالأرق ، فأرمي بها الى الجدار

لم يكن يعلم صديقي الدكتور احمد النعمان برحيل الشاعر العالمي والعراقي سركون بولص حين هاتفني مساء الإثنين 22 اكتوبر 2007 ! وحين اخبرته شعرت ان الخبر قد ارتج عليه ! فقررنا ان نكتب نعيًا مشتركًا باسم احمد النعمان وعبد الاله الصانع ! لكنني لم استطع النوم ليلتها ولم استطع القراءة والكتابة ! فرحت استعرض تاريخًا عريضًا من كفاح سركون بولص الابداعي الحدائوي ! مقارنة سركون الفتى الحالم بسركون الشيخ العليل ! واستذكر الصواع بينه وبين الموت البارد ! اين كنا نحن المثقفين العراقيين من مكابذات الحبيب سركون بولص ! ولماذا لم يخبرنا صديقنا المشترك الشاعر الأشوري ميخائيل ممو ؟ كيف يموت في المانيا وربع مثقفي العراقي المغتربين فيها ؟ واين كانت سفارتنا في المانيا من كبوة علم عراقي سامق ؟ اين دائرة المستشار الثقافي هل ستصدر بيانًا رسميًا تنعى فيه السفارة العراقية بالمانيا الشاعر الأشوري العراقي العظيم سركون بولص وتقدم لضمير الدنيا ما كانت قدمته لهذا الرمز الإبداعي ! فهل مسوغ الصمت ذلك عظم الخسارة وهول الصدمة ؟؟ ارجو ان يكون الأمر كذلك ! يتذكر الاصدقاء من صفوة المثقفين العراقيين الزمن الذي افتتحنا فيه معا مقهى المثقفين العراقيين البالتاكي : الأساتذة اسامة العقيلي ونصيف الناصري والشيخ علي القطبي والدكتور احمد النعمان وجاسم المطير والدكتور هاشم احمد وهادي الحسيني وقاسم حسن واحسان السماوي وونام ملا سلمان وراهبة خضر الخميسي وحسين السكاف وتحرير الخرسان والفنانة فروديت ونصرت بهية والقائمة طويلة وطويلة جدا ! ثم انضم اليها الشاعر كمال سبتي ولبث معنا فترة مناسبة بعدها تهيأ له ان يفتح مقهى بالتاكي آخر ويستقل عنا ! وافتتح المقهى لكنه شعر بالاعياء وعاد اليها بحميميته وحماسته ! كنا عصابة لايسطيع ان يخترقنا سفيه او تفيه ! وكانت المقهى محط انظار العراقيين والعرب مع مرة استضافنا ليلي العثمان من الكويت واخرى استضافنا عبد السلام محمد منصور من اليمن ! واستضافنا عضوين من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وهما الاستاذ الجميلي والاستاذ رئيس تحرير الثقافة الجديدة كما استضافنا قادة كبار من حزب الدعوة ومن الحكومة العراقية فضلا عن مبدعين ومفكرين كبار مثل الاساتذة جمعة اللامي وعيسى الياصري والدكتور سيار الجميل فسقيا للكلمة التي تجمعا وتؤلف قلوبنا .

. الاثنين 22 اكتوبر تشرين اول 2007 .

عبد الاله الصانع